مقياس تيارات فكرية السنة الأولى ماستر ــ أدب حديث و معاصر

الأستاذة مفيدة عليوط

المحاضرة الحادية عشرة : الزيدية

يُعدّ المذهب الزيدي أحد أقدم المذاهب الإسلامية التي نشأت في سياقٍ تاريخي وفكري معقّد، جمع بين الفقه والسياسة، وبين العقيدة والاجتهاد، وبين النص والواقع، وقد ارتبط اسم الزيدية عبر القرون بتاريخ اليمن الديني والسياسي، حتى غدا هذا المذهب جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والفكرية لشرائح واسعة من المجتمع اليمني، مع امتدادات علمية وتأثيرات فكرية في أقاليم أخرى من العالم الإسلامي.

و الحديث عن الزيدية ليس حديثًا عن مذهب فقهي فحسب، بل هو حديث عن تجربة حضارية كاملة، تشكّلت في ظلّ صراعات سياسية مبكرة، وتفاعلات علمية عميقة مع المذاهب الإسلامية الأخرى، السنية والشيعية على حدّ سواء

أولًا: النشأة التاريخية للزيدية

تُنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، الذي خرج في الكوفة سنة 122هـ مطالبًا بالعدل ورافضًا للظلم الأموي، و لم يكن خروج زيد مجرد حركة سياسية بل كان تعبيرًا عن

رؤية دينية أخلاقية ترى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة الجور من صميم الدين.

وقد شكّل مقتل الإمام زيد نقطة تحوّل، حيث التفّ حول أفكاره وتلامذته عدد من العلماء والفقهاء، فتبلورت مدرسة فكرية حملت اسمه، وتميّزت عن بقية الفرق الشيعية بموقفها المعتدل من الصحابة وبانفتاحها على الاجتهاد، ورفضها لفكرة العصمة المطلقة للأئمّة.

ثانيًا: الزيدية بين الشيعة والسنة

من أبرز ما يميّز الزيدية موقعها الوسيط بين أهل السنة والجماعة والشيعة الإمامية، فهي شيعية في تقديم آل البيت واعتبار الإمامة في نسل فاطمة رضي الله عنها وسنية في كثير من الأصول الفقهية والحديثية حيث تعتمد مصادر التشريع المشهورة: القرآن، السنة، الإجماع، والقياس ولا تقر بعصمة الأئمّة ولا بالإمام الغائب ولا تحصر الإمامة في عدد معيّن.

لهذا السبب، يرى كثير من الباحثين أن الزيدية هي أقرب المذاهب الشيعية إلى أهل السنة، سواء في الفقه أو في العقيدة.

ثالثًا: مفهوم الإمامة عند الزيدية

تحتل الإمامة مكانة محورية في الفكر الزيدي، لكنها تختلف جذريًا عن مفهومها عند الشيعة الإمامية حيث يشترط الزيدية في الإمام أن يكون:

*من آل البيت (من نسل الحسن أو الحسين).

*عالمًا مجتهدًا.

*شجاعًا، قادرًا على حمل السيف.

*داعيًا إلى نفسه، أي يعلن إمامته ويخرج لإقامة العدل.

ولا يؤمن الزيدية بالنص الإلهي على إمام معيّن ولا بالعصمة ولا بالوراثة التلقائية للحكم كما أن الإمامة عندهم تكليف ومسؤولية وليست مقامًا مقدّسًا مغلقًا.

رابعًا: العقيدة الزيدية

تأثرت الزيدية في الجانب العقدي بمدرسة الاعتزال، خاصة في مسائل العدل الإلهي و حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله والقول بخلق أفعال العباد، ومع ذلك لم تكن الزيدية نسخة طبق الأصل من المعتزلة، بل احتفظت بخصوصيتها ورفضت الغلو العقلي، وأبقت للنص الشرعي مكانته المركزية.

خامسًا: الفقه الزيدي: يعد الفقه الزيدي من أغنى المذاهب الفقهية الإسلامية، ومن سماته الاعتماد الكبير على الاجتهاد و عدم التقيد الصارم بآراء إمام واحد و التقارب الكبير مع الفقه الحنفي والشافعي في كثير من المسائل، وقد خلّف علماء الزيدية تراثًا فقهيًا ضخمًا، من أبرز أعلامه الإمام القاسم بن إبراهيم و الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين و الإمام أحمد بن يحيى دخل المذهب الزيدي إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري، مع قدوم الإمام الهادي إلى الحق، ومنذ ذلك الحين ارتبطت الزيدية بتاريخ اليمن السياسي، حيث قامت دول وإمامات زيدية حكمت أجزاء واسعة من البلاد لقرون طويلة.

المراجع

1 ــ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب و الأحزاب المعاصرة، إشراف مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة و النشر، الرياض، ط4، 1420

2ــ عدنان المقطري، نشأة الزيدية و تاريخها، نسخة إلكترونية pdf دون طبع.